حرب الانسان والحشرات

ما دام الانسان على قيد الحياة فهو في حرب وجهاد يحارب احداث الجو وتقلبات العناصر · واعدى اعدائهِ الحشرات والمكروبات · اما المكروبات فقد اشتهر امرها في ما تبتلي بهِ الانسان من الامراض واما الحشرات فمحاربتهُ كما ترى في انواع الدود التي تعيش في الامعاء او تتلف الحقول والبساتين · وبين الحيوانات ذوات الاصداف اعداء كثيرة للانسان ولاسيما القواقع التي تتلف المزروعات · كذلك من اعدى اعدائهِ القراد الذي تبتلي بهِ الدواجن فيمتص دمها · اما العقارب فليس الضرر الذي تحدثهُ بالشيء المذكور في جنب خوف الانسان منها · ومثل ذلك يقال في الحريش (ام اربع واربعين) السامة

وهذه الحشرات تختلف عن سائر الحيوانات بما بين مصالحها ومصالح الانسان من التضاد · فهي تحاربهُ بالتهام المواد التي يقتات بها او بدس السم فيها · او بمهاجمة شخصهِ · او بنقل مكروب الامراض اليهِ والى طيورهِ الاليفة وحيواناتهِ الداجنة والى البقول والخضر وسائر النباتات التي يستخدمها في معيشتهِ · وهذا الاخير هو شرّ افعالها · وبين الانسان والحشرات نزاع على سيادة الارض · وليس ببعيدٍ عن التصور ان تكون الحشرات هي الفئة المنصورة فتختار الارض من المخلوق الذي يطمح الى امتلاكها وسيادتها وتخولها جنة لهُ ولسائر انواع الاحياء البرية والبحرية التي تعاونهُ في عملهِ الا وهو جعل نظام الخليقة متوازناً سوياً

وليس ببعيد ان يكون ما نسامهُ الآن من العذاب على يد الحشرات قصاصاً لنا على ابادة حلفائنا الاصداء من الطيور والزحافات التي كانت معيشتها قائمة بالتهام الحشرات · فالانسان يجني الآن ثمرة ما زرع ويدفع غرامة ما افسد اذ يرى تفشي الامراض التي تحدثها المكروبات وتناقص طعامهِ الحيواني والنباتي وما لذلك من سبب سوى ثورة عالم الحشرات وحركة المكروبات التي تحملها في امعائها وافواهها وعلى قوائمها وظهورها ثم تدسها في جلد الانسان ومعدتهِ او دمهِ او ابدان طيورهِ وانعامهِ او اثمار النبات التي يتخذها طعاماً لهُ واداماً

وقد بدأ الانسان يدرك الخطر الناشيء عن الذباب والجراد والبق والقراد والبعوض منذ العصر الحجري واوائل العصر المعدني وكأنهُ كان يخاف حينئذٍ بالسليقة المكروبات غير المنظورة التي لم يتمكن من رؤيتها حتى القرن السابع عشر ولا اتيح لنا فهم ماهيتها حتى اوائل القرن الحالي · وهذا الاعتقاد الغريزي بوجود المكروبات وتفشي امراضها هو ولا

شك اساس القوانين التي وضعها الآريون البيض عند غزوتهم للهند . فانهم اجتنبوا من القبائل السود التي اثروا ليحكموها وطلبوا البعد عنها خوفاً من انتقال جراثيم الامراض منها اليهم . وليس ببعيد ان تكون شدة تمسك البراهمة قديماً بهذه القوانين هي التي حفظت لهم صحتهم فعاشوا واثروا وان يكن نسلهم من اهل الهند الحديثة قد انفقوا جهدهم سدى مقاومة المساعي التي بذلت لابادة الامراض برغمهم تصديق ما يقال عن عدواها والاشتراك في التدابير الصحية التي تضعها الحكومة للقضاء على الكولرا والطاعون والحميات

وان الابحاث التي جرت في ايطاليا والهند وفرنسا وانكلترا والمانيا واميركا في العقدين الاخيرين من القرن الماضي على مثال ابحاث پاستور برهنت على ان الحشرات هي سبب كثير من الادواء التي تصيب الانسان وسائر الحيوان وبينت لنا طرق اجتناب تلك الادواء وهي اما اهلاك الحشرات التي تنقلها او اجتنابها . وقد نشر حديثاً كتاب بالانكليزية بعنوان « الحشرات والانسان » من قلم المستر إيلند خص فيه اسباب الامراض التي تنقلها الحشرات وتتائجها والاضرار الهائلة التي تحدثها . وابان وجوب انتظام الناس طرّاً في الحرب التادمة — حرب لا تقام بين الانسان واخيه الانسان بل بين الانسان والحشرات وتكون حرباً عوانا تفصل في المسائل الآتية : هل يكون الحيوان ذو الفقار وذو المنزلة العليا في الخليقة حاكم هذه البسيطة او الحشرات التي لا فقار لها ؟ وهل يكون سيد الارض نملةً او بقةً او زنبوراً او قرادة او برغوثاً ام يكون سيدها هذا الحيوان الناطق الذي يرصد النجوم ويزن الشموس وقد بلغ السبع الطباق واتصل بعالم ما وراء الطبيعة . ونحن نرجو ان يكون الانسان هو المنصور في تلك الحرب ولكنهُ انما ينتصر بجمع قواهُ كلها واستخدام جميع موارده ومصادره في تلك المهمة ألا وهي ابادة الحشرات التي تنقل الامراض ثم ابادة المكروبات التي لا غاية لها من الحياة الاّ ان تعيد الحي جماداً

وبعض هذه الحشرات يحمل عدوى الامراض ويبثها في دم الانسان فانها هي نفسها تُعدى اولاً اما بامتصاص دم انسان مريض او حيوان او طائر او زحافة واما ان تأخذ جراثيم العدوى من الزبل او النباتات الفاسدة او الماء الملوث او غير ذلك . وهذه الجراثيم قد تقضي دوراً من عمرها في امعاء الحشرة او في غددها اللعابية والحشرة تنقلها الى دم الانسان اما بوخز جلده كالبرغوث والقملة والبقة والبعوضة واما بنفثها على طعامهِ كالذبابة والخنفساء . وشرّ هذه الحشرات البرغوث على انواعهِ والبقة على انواعها ومنها بقة المكسيك التي طولها بوصة . قال دارون في وصفها « وممّا يتكمش لهُ الجلد ويقف شعر الراس لقزّاً ان تشعر

بحشرة ناعمة الملمس طولها بوصة تزحف على جلدك . فلا تمضي عشر دقائق حتى تبيت مستديرة بعد ما كانت رقيقة كالبرشانة لكثرة ما تمتص من الدم » . وكذلك القملة والبعوضة والذبابة على انواعها والنملة والقرادة والخنفساء . فاذا استطعنا بواسطة من الوسائط ان نهلك هذه الحشرات او ان نقللها قلة محسوسة فاننا نستأصل الطاعون وانواع الحمى كالصفراء والملاريا والسوداء والراجعة والدنج والبري بري والقرمزية . وربما استطعنا استئصال السرطان ايضاً . والمؤكد اننا نستأصل مرض النوم الذي يجتاح بلاداً واسعة ويبيد سكانها . وكذلك نستأصل جميع امراض البقر والغنم والخنازير والخيل والجمال والدجاج . ثم اذا حملنا على الحشرات التي تسطو على زروعنا استطعنا زيادة حاصلاتنا الزراعية مئة ضعف

ولسنا في هذه الحرب بلا حلفاء واعوان . واعظم اعواننا الطيور فالعطايات فالسمك النهري . ثم ان لنا حلفاء واصدقاء بين جموع الاعداء . فان في الحشرات فئة مهمتها ابادة غيرها من نوعها اهمها الحشرة المعروفة باسم « السيدة » في هذا القطر وهي من فصيلة الخنافس ولا عمل لها على ما يظهر الا ابادة الحشرات التي تأكل القمح في سنابله والثمر على الشجر والدخان والبطيخ في مزارعها . ومن الخنافس خنفساء اخرى من الفصيلة المسماة بالانكليزية خنافس الارض وهي من الآكلة اللحوم ومعظم طعامها الحشرات قبل تفقيسها . وكثيراً ما تفضل اناث الحشرات على ذكورها فتهلك بقضمة واحدة ام الوف من الحشرات المؤذية الضارة

والفصيلة المسماة Hymenoptera اي الغشائية الجناح كثيرة النفع للناس . ومن حشراتها النحل والزنابير والنمل . ومنها نحل يسطو في اواسط افريقية على بعض فصائل الخنافس والفراش والنمل والذباب والجراد المضرة فيفتك بها ويستأصلها . وترى رجال الزراعة الاميركية يطلبون هذه الحشرة النافعة في اسيا وجنوب اوربا وشمال افريقية ويحملونها بمزيد العناية الى حقول اميركا الشمالية والوسطى ويطلقونها على الحشرات التي تفتك بالقطن والتفاح والبرتقال والخوخ والقصب والدخان والحنطة والكرم

ومن رأي السر هري جونستون الذي لخصنا عنهُ ما تقدم ان يعلَّم الاولاد في جميع البلاد علم طبائع الحشرات والقراد وان يُدلوا على الحشرات التي يجب اجتنابها او قتلها والحشرات التي يجب استحياؤها لانها اعداء اعدائنا . فان الاولاد ميّالون حيثما كانوا الى قتل النحلة خوف لسعها وفضلها على الزراعة مشهور لانها تنقل اللقاح من نبت الى نبت فتلقح الاشجار بثمارها . فليعلم الاولاد علم طبائع الحشرات بدل هندسة اقليدس وليلقنوا مبادئ

علوم الحيوان والنبات والكيمياء بدل قضايا الجبر العويصة التي لا يحتاج اليها الاَّ الذكي والرياضي . وليحرم حرث الارض على كل فلاح لا يجوز الامتحان في مبادىء علم التعجين الحيواني وفي الامراض التي تنشأ عن زبل الزرائب وعواقبها وفي فائدة ذلك الزبل للارض وضررهِ اذا بقي مكانهُ يفوح الطعام الذي تأكلهُ والماء واللبن اللذين تشربهما

وكلُّ حكومة تسنّ القوانين الشديدة لمعاقبة الذين يقتلون الطيور الآكلة للحشرات المضرة تحسن عملاً . فان اكل الطيور والتزين بريشها حلال الاَّ اذا ثبت ان وجودها على قيد الحياة يدفع عن الانسان غرماً لا يذكر في جنبهِ الغنم الذي يجدهُ من التلذذ بلحمها والتباهي بريشها فقتلها والحالة هذه حرام

فعل الجرذان في الحروب

بعث مراسل احدى الصحف الانكليزية برسالة الى جريدتهِ من ميدان القتال الغربي غريبة في بابها لم ينسج على منوالها ولكنهُ قال وأكد انهُ على بينة مما قال : والى القراء مآل رسالتهِ

في ليلة صفا اديمها وسطع قمرها كنت اراقب البطاح والسهول المترامية امامي فابصرت على قرب مني جرذاً مقطوع الذيل قد صلت اذناهُ وبرز حنكهُ رأيتهُ يتاصص بحذر واحتراس كأن قصف المدافع وانفجار القنابل في تلك الارجاء قد ارعب حتى قلوب جراء الحيوان . ولم تكن الاَّ ثوان حتى اوغل في الادغال وجعل يبحث قلقاً حائراً فادركت انهُ يريد ورود الماء فان علماء الطبيعة يقولون ان الجرذان ترد الماء ولو ابهم عليها كل سبيل او لقيت حتفها لانهُ اذا مضى عليها اربع وعشرون ساعة من غير ان تنقع غلتها وتروي ظمأها ماتت لا محالة

وبينما الجرذ على هذه الحال اقبل يوم وقد ازعج ذلك الليل بنعيبهِ فلما سمع الجرذ صوتهُ عرتهُ رعشة ورعدة وقد رأى عيني اليومة الحمراوين تحدقان فيهِ فدبَّ واختبأ تحت عربة مدفع مقلوبة وجمد في مكانهِ اكثر منها

ولما لم تسمع البومة صوتاً طارت لا تلوي على شيء وانصرف الجرذ من مخبإهِ غير مصدق بالنجاة وما زال يصدو حتى دنا من باب كنيسة دمرت القنابل جانباً منها فانقض رأسهُ وما عتم حتى دخلها مسرعاً ولسان حالهِ يقول الماء الماء إما ان اجد ماء واروي ظمإي او اقضي نحبي في نهاية هذه الرواية